الأزهر الشريف
وتحقيق التراث العربى الإسلامي

أ.د.خالد فهمى
(كلية الآداب / جامعة المنوفية)

ملخص البحث

تتناول هذه الورقةبالفحص سهمة الأزهر الشرف في ميدان تحثيق التراث العربي الإسلامي على امتداد مرحلتين أساسيتين هما :

أ- مرحلة الإرهاص بين يدي علم تحقيق النصوص في العصر الحديث.

ب- مرحلة الريادة والتأسيس لعلم تحقيق النصوص في العصر الحديث.

والورقة في سعيها للكشف عن تارخ هذه السهمة وخصائصها تشتبك مع المطالب التالية :

(١)مدخل:الأزهر الشريف والتطبيق الحى للمؤسسة النبوية الأولى!

(٢)الأزهر الشريف فى مقدمة طلائع الإحياء الحديث فى ميـدان خدمـة التراث الفكرى للأمة

(٣)الأزهر الشريف يؤسس لعلم تحقيق التراث من خلال ريادة المحققين العظام من أبنائه فى العصر الحديث

(٤)الأزهر وتحقيق التراث اليوم،ومثال غيـر أخيـر لريادتـه المنـارة الهادية!

الأزهر الشريف

وتحقيق التراث العربى الإسلامي

(1)مدخل:الأزهر الشريف والتطبيق الحى المؤسسة النبوية الأولى!

آل موقع الأزهر الشريف بعد فترة من إنشائه إلى أن يستقر مؤسسة حية تمثلت النموذج النبوى الراشد الذى حكم مؤسسة المسجد فى التصور النبوى ليكون دار عبادة تربط بين الأرض والسماء ، ومعهد علم يقود نهضة الأمة ، ومؤسسة تدعم حقوق الناس اجتماعيا و سياسيا.

واستقر فى الضمير الإسلامي النظر إلى الأزهر الشريف على أنه العين الساهرة على حفظ الإسلام ، ورعاية شئونه.

ومنذ هذا الذى استقر فى الضمير الإسلامى وورثه الوعى المعاصر وإحدى الوظائف الكبرى التى يضطلع بها هذا الجامع العريق ظاهرة فى حفظ التراث الإسلامى ،وصيانته ،وخدمته.

وليس من شك فى أن تحقيق التراث ،ونشره متقنا مصححا ومضبوطا مندرج تحت هذه الوظيفة المركزية للأزهر الشريف.

والأزهر الشريف إذ يقوم بهذا العبء يضرب المثل للتطبيق الحى والإيجابى لمفهوم حفظ الإسلام ،ورعايته ،وصيانة مبادئه . وهو بعض المستقر فى قانونه ؛ذلك أن الأزهر هو :"الهيئة الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ، وتجليته ونشره ... وتهتم ببعث الحضارة العربية الإسلامية ... وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية و الثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن الكريم ، على ما جاء فى المادة الثانية من

القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر ،وعلى ما جاء فيما جلاه الدكتور محمد سليم العوا فى كتابه :أزمة المؤسسة الدينية(دار الشروق القاهرة ٢٠٠٣م ص١٤)

وهو ما أكدته وثيقة الأزهر الشريف حول مستقبل مصر عندما قرر أن الأزهر هو المنارة الهادية التى يستضاء بها فى إحياء مختلف العلوم الطبيعية و الآداب و الفنون بتنوعاتها الخصبة ،على ماجاء فى البعد السادس من هذه الوثيقة.

وهو ما جاء فى مقترن قانون الأزهر الجديد سنة ٢٠١٢م فى المادة الثانية أيضا.

لم يكن ذلك الذى ظهر فى الوعى المعاصر فيما يتعلق بدور الأزهر الشريف إلا حصادا لتراكم تاريخى ممتد للوعى الإسلامى بطبيعة دور المسجد بما هو أهم مؤسسة حضارية فى تاريخ التصور الإسلامى للمؤسسات الحضارية.

(٣)الأزهر الشريف فى مقدمة طلائع الإحياء الحديث فى ميدان خدمة التراث الفكرى للأمة

وإذا كان ظهور المطبعة فى مصر واحدا من أشهر العوامل التى يرصدها التناول المدرسى فى باب عوامل نهضة مصر الحديثة ،وأسباب تجاوزها لمراحل التراجع الحضارى ، فإن التاريخ فى هذا الباب تعيينا يقرر أن مطبعة بولاق كانت البداية المنيرة للعناية بتراث الأمة العربى والإسلامى ابتداء من سنة ١٨٢٢م .وهو الأمر الذى يقوله الدكتور/محمود الطناحى رحمه الله تعالى فى كتابه :مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى (مكتبة الخانجى القاهرة١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ص ٣١):" ولم يظهر الوجه العربى الإسلامى للطباعة إلا فى مطبعة بولاق بمصر ، لقد كان إنشاء هذه المطبعة فى مصر صيحة مدوية أيقظت الغافلين ،ومركز ضوء باهر هدى الحائرين ،وقد تدافعت مطبوعاتها من الكتاب العربى الإسلامى كأنها السيل".

ولعله من المنطقى أن يثور السؤال عن السر وراء هذا الوجه المشرق الذى دفع إلى العناية بالتراث الفكرى للأمة العربية الإسلامية ولعله من المنطقى أن يبحث الباحثون عن إجابة هذا السؤال لدى الأزهر الشريف ،وهو ما كان ،لتجئ الإجابة لتقرر :"أن الأزهر كان موجه الكثير من نشاط مطبعة بولاق ،ومهيمنا عليه"

وهو الأمر الذى قرره كثير من الذين أرخوا لهذه البدايات من أمثال الدكتور محمود الطناحى والأستاذ عبد السلام هارون فى التراث العربى والدكتور رمضان عبد التواب فى مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ، ومحمود شاكر فى أباطيل وأسمار وفى رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا.

وقد تنوعت جهود الأزهر الشريف فى دفع حركة خدمة التراث الإسلامى والعربى ،وسارت فى مسارات متعددة ،يمكن إجمالها فيما يلى:

أولا-وفرة المحررين الأزهريين المدربين

ثانيا- وفرة المصححين الأزهريين المهرة

ثالثا- وفرة المطبوعات الإسلامية والعربية المتقنة

وفى هذا السياق يقول الدكتور الطناحى فى المدخل إلى نشر التراث العربى (٣٨):"كان محررو المطبعة من الطلبة الأزهريين الذين دربوا تدريبا خاصا ...ثم كان إسناد رئاسة تصحيح مطبعة بولاق إلى الشيخ نصر الهوينى الأزهرى الشافعى أية كبرى على هيمنة الأزهر على هذه المطبعة الكبيرة "

و لم يكن هذا الرجل وحيدا فى هذا الميدان ، ولكن يذكر معه الشيخ محمد بن عبد الرحمن المعروف بقطة العدوى رحمه الله تعالى .

ولم تتوقف ريادة الدور الأزهرى عند حدود المطبعة الأميرية ، أو مطبعة بولاق ، لكنه نما وهيمن على عمل المطابع الأهلية أو الخاصة التى أسهمت فى نبوغ عدد من المصححين الأزهريين نذكر منهم:

١-الشيخ عبد الغنى محمود الأزهرى

٢-الشيخ محمد هارون ،والد عبد السلام هارون

٣-الشيخ حمدى إبراهيم

والحق قاض أن نقرر أن التصحيح الذى نبغ فيه هؤلاء وغيرهم لم يكن بمعنى التدقيق اللغوى، فقط، وإنما كان أقرب إلى التحقيق الذى نمت مناهجه و استقرت فيما بعد ،وهو مايعنى أن مصطلح التصحيح الذى نطالعه فى نهايات صفحات هذه الكتب التى خرجت من بولاق ومن غيرها من المطابع الأهلية على أيدى هؤلاء العلماء الكبار كان البداية

الحقيقة لما استقر فنا وعلما له أصوله وقواعده عرف باسم تحقيق التراث ولنا على ذلك عدد من الأدلة ،هى:

أ-ظهور آثار المقابلات بين النسخ ،وإثباتها على هوامش الكتب المطبوعة

ب- التقديم بين يدى عدد كبير من هذه الكتب بمقدمات تتضمن :

١- بيانا كاشفا عن فنها ،وموضوعاتها ،ومميزاتها

٢-ترجمة مبينة للمؤلف صاحب الكتاب / كما تضمنت هذه الكتب ما يلى:

٣- التعليق على عدد من المعلومات التى يتضمنها متن هذه الكتاب

٤- تخريج بعض النقول ،والشواهد .

وهذه الأربعة جميعا هى بإجماع من لوازم عمل المحققين المستقرة فى أصول هذا الفن

ج- تطور مواقع عدد كبير من المصححين بهذا المعنى ليكونوا من أئمة المحققين بالمعنى الاصطلاحى العلمى المستقر ،من أمثال المحقق الكبير الدكتور محمود الطناحى رحمه الله تعالى ومحمود شاكر وعبد السلام هارون ،أنهما قليلا ما يذكر الدارسون أنهما عملا فترة فى التصحيح.

ومن الجدير بالذكر أن نقرر أن ثمة أثرا إيجابيا يحسب للأزهر الشريف يتمثل فى الإسهام الذى قام به كثير من علماء الأزهر الذين انضموا إلى دار العلوم ،ونهضوا بمجال خدمة التراث فيها،ابتداء من المرصفى ، حسن بن على المرصفى رحمه الله تعالى.

(٣)الأزهر الشريف يؤسس لعلم تحقيق التراث من خلال ريادة المحققين العظام من أبنائه فى العصر الحديث

إن مراجعة مرحلة النبوغ والنباهة فى مجال تحقيق النصوص التراثية تثبت أن الأزهر الشريف اضطلع بنصيب وافر فى دعم هذه المرحلة ،بدرجة واضحة تتناسب مع منزلته ،ومثلما ظهرت ريادته وهيمنته فى مرحلة البدايات الأولى ،امتدت واستمرت علامات هيمنته فى المرحلة التالية التى سيطر عليها ووجه أ صولها كل من :

أ- أحمد محمد شاكر

ب-عبد السلام محمد هارون

ج- السيد أحمد صقر

وهؤلاء الثلاثة الأعلام أزهريون نضج على أيديهم علم تحقيق التراث ،واستقرت أصوله،وقواعده،وأخرجوا للنور عيونا من كتب التراث فى العلوم الإسلامية والعربية جميعا ،هى بلا مبالغة من أصول العلم التى يتأسس عليها العلم العربى والإسلامى من مثل:المسند للإمام أحمد ،وتفسير الطبرى ،وأسباب النزول للواحدى ،والبيان والتبيين للجاحظ،وغيرها مما هو معروف فى هذا الباب.

وإسهام هؤلاء الإعلام من الذين أسسوا لأصول هذا الميدان ظاهر جدا فى علامتين هما:

أولا- وفرة ما أخرجوه محققا من عيون التراث العربى الإسلامى وهذه الوفرة يحيط بها من علامات الجودة :

أ- التنوع المعرفى ،تفسيرا وحديثا وعقيدة ولغة وشعرا إلخ

ب-القيمة المعرفية ؛ذلك أنهم عنوا بأصول الكتب ،أو ما يعرف بالأمهات فى المجالات المختلفة

ج- الكثرة والامتداد

ثانيا- التأصيل العلمى لفن تحقيق التراث ،ومسائله ؛فقد كتب عبد السلام هارون كتابه :تحقيق النصوص ونشرها ،وهو كتاب تأسيس فى هذا المجال ،وكتابه التراث العربى ،وهو كاشف عن عدد من المسائل المهمة فى بابه.

كما كتب أحمد شاكر كتابه :تصحيح الكتب ،وصنع الفهارس وكيفية ضبط الكتاب ،وهو الذى اعتنى به وعلق عليه العالم والأستاذ عبدالفتاح أبو غدة

ثالثا- المتابعة النقدية لأعمال المحققين

وهذه السمة الثالثة هنا من آكد ما يدعم إسهامهم الرائد فى ميدان تحقيق التراث ؛ وقد ترك العلماء الثلاثة رصيدا وافرا من المراجعات النقدية الرصينة للأعمال التى حققت وظهر،وتناولت مراجعتهم النقدية تلك:

١ -تصحيح النصوص ،وبيان ما أصابها من تحريفات وتصحيفات

٢ -تصحيح نسبة عدد من الكتب والشواهد إلى أصحابها بعد أن خرج كثير منها منسوبا إلى غير صاحبه

٣- الكشف عن كثير من الأعلام المجهولة فى الأعمال التى خرجت على أيدى غيرهم.

وهو الأمر الذى يحتاج إلى قدر من العناية والفحص ولاسيما أن هذه الجهود النقدية للتراث العربى مجموعة فى مثل كتاب :قطوف أدبية:دراسات نقدية فى التراث العربى فى تحقيق التراث ،للأستاذ عبدالسلام هارون رحمه

(٤)الأزهر وتحقيق التراث اليوم،ومثال غير أخير لريادته

وما زال الأزهر أعرق مؤسسة علمية ترعى تحقيق نصوص التراث الإسلامى والعربى المتنوع الذى يغطى خريطته العلمية جميعا.

والأدلة على ذلك متوافرة فى هذا العدد الهائل من الكتب التى يعنى بها أبناؤه ويعتمدونها فى رسائلهم لدرجتى الماجستير (التخصصى)والدكتوراه(العالمية) ،وهو ما يؤذن باستمرار هيمنة المؤسسة الأزهرية على توجيه أعمال تحقيق التراث الإسلامى ونشره .

ويقف الدكتور النبوى شعلان مثالا فريدا فذا فى هذا السياق على الدور الممتد المستمر منذ البدايات كما رأينا -لعناية الأزهر الشريف بالتراث العربى الإسلامى تحقيقا ونشرا .

وهذا الحكم بفرادة الدكتور النبوى شعلان بما هو محقق من كبار المحققين الذين أنجبهم الأزهر الشريف مدعوم بعدد من العلامات هى:

أولا- عكوفه الدائم فى شبه انقطاع على تحقيق التراث ولاسيما التراث الشعرى ،والنقدى ،وهو باب خطير مؤثر فى الدراسات العربية كلها تفسيرا وحديثا وأصولا ولغة.

ثانيا- كثرة تحقيقاته،وتنوعها

ثالثا- علو تحقيقاته،وإتقانها

رابعا-عنايته بالمراجعات النقدية للتحقيقات السابقة

خامسا- وراثة أعلام كبار يدين لهم بالتأثير فيه من أمثال : محمود شاكر رحمه الله تعالى

سادسا- إسهامه فى تأسيس أول مركز يعنى بتحقيق التراث الإسلامى فى جامعة الأزهر الشريف.

إن فحص منزلة الأزهر الشريف السامية لا يصح أن تقف عند حدود ما يرصده المؤرخون من ملامح ما قدمه للحياة العربية والإسلامية على امتداد تاريخه العريق ،ولكن فحص منزلته ودوره ينبغى أن تنطلق ابتداء من واجبه الأول الذى استقر فى الضمير الإسلامى والعربى أنه لصيانة الفكرة الإسلامية،وصيانة تراث هذه الفكرة ،وهو ما رأينا أماراته فى المراحل جميعا ،فى مرحلة البدء التى هيمن فيها رجاله على حركة النشر و تصحيحه ،وفى المراحل التى تلت زمان البداية الحديثة تأسيسا و إنضاجا وإحكاما فى ميدان تحقيق التراث الإسلامى والعربى .

وما يزال الأزهر، وسيظل ،بما يخرجه للأمة من أعلام المحققين المنتمين – المنارة الهادية التى تنير الطريق للحياة